اللاجئين واقتلاعهم وتشريدهم من جهة واقبالهم على التعليم من جهة أخرى، فكونوا مناخا ملائما لانتاج قيادات وحيز سياسي. وبحزم يمكن القول إن المخيمات كانت رحم البندقية المعاصرة وحاضنتها. فحياة الشقاء والبؤس لم تنتج «بروليتاريا رثة» بتعبير ماركس بل طاقة نضالية متفجرة.

فالمخيم كيان له خصوصية وأداة تحليلية رغم أية تداخلات وجوهر مشترك مع قطاعات الشعب الأخرى في المدينة والريف، وهو ينتمي عموما للطبقات الشعبية من عمال ومسحوقين وبرجوازية صغيرة أغلبيتها من المثقفين والموظفين، ناهيكم عن انتشار الفكر التقليدي والعشائرية الممتدة في منشأ العائلات والبلدات الأصلية.

لقد تعرض الشعب الفلسطيني لعملية تطهير عرقي منظمة وبالتالي كان لنا رؤيتنا للمنعطف النوعي الكارثي عام ١٩٤٨، ودون عودة أهالي البلاد الأصليين الى ديارهم واقامة دولة ديموقراطية تعيد توزيع الثروات ويسري فيها قانون المساواة الفردية والجماعية، ليس ثمة فرصة لانهاء الصراع، وما جرى ويجري من تسويات ومشاريع هو مجرد ادارة أزمة لتوفير الغطاء للتوسعية الاسرائيلية واذكاء التناقضات لتفكيك الهوية الوطنية والشعب الفلسطيني.

ولئن كانت (الثورة تنبع من فوهة البنادق) ماو، فقد تعلمنا أيضا أن «لا حركة ثورية دون نظرية ثورية» لينين، نظرية مرشدة تساعدنا على فهم الملموس والمتغيرات وبناء أدوات النضال.

من هنا تم ربط الخطوة العملية بالفكر السياسي. ومبكرا، قبل حزيران ١٩٦٧ وبعدئذ في الاستراتيجية السياسية والتنظيمية عام ١٩٦٩ جرى تحديد معسكر الاعداء ومعسكر الاصدقاء وطبقات وأدوات الثورة ودور التنظيم الطليعي والكفاح المسلح، وموقف رافض ومقاوم للتطبيع والاعتراف باسرائيل، الذي يعني التفريط ب٧٨٪ من فلسطين وتصفية حق العودة لملايين اللاجئين الذين اقتلعوا وهجروا من منازلهم وأرضهم، وتكريس العنصرية العدوانية المعادية للعرب.

وكان الشغل الشاغل هو ترجمة هذه الخطوط لأن «الصدق في السياسة هو مطابقة الأقوال بالأفعال» لينين. وقد أدركنا منذ البداية أن بناء الحزب هو المسألة المحورية، وعلى امتداد عقدين ويزيد لم نستخدم تعبير جبهة في تعاميمنا ومراسلاتنا ونشرياتنا، بل حزب، حزب بالمفهوم الثوري اقتداء بالحزب البلشفي والشغيلة الفيتنامي والشيوعي الكوبي والشيوعي العراقي في زمن فهد واللبناني في زمن حاوي..و كانت احاطتنا بهذه التجارب واسعة.